

الفصل الخامس والعشرون

مميزات اللغات السامية واللغة التيجرية (النبي عامرية)

لكل لغة من لغات الشعوب مميزات تتميز بها ، وقد تشترك معها بعض اللغات الأخرى في تلك المميزات . وقد توصل علماء اللغات السامية إلى بعض المعالم الواضحة التي تميز هذه اللغات ، والتي يشترك فيها عدد منها إن لم تكن كلها . وفيما يلي بعض تلك المميزات التي رأى علماء اللغة أنها مشتركة ومميزة للغات السامية^١ . ويعتقدني هذه القواعد توصل الباحثون إلى أن اللغة المصرية القديمة لغة سامية .

- ١ - تعتمد اللغات السامية على الحروف الصامتة . **consonant** وحدها ، ولا تلتفت إلى الأصول بمقدار ما تلتفت إلى الصامتة .
- ٢ - أغلب الكلمات السامية يرجع اشتقاقها إلى أصل من ثلاثة أحرف أو حرفين .
- ٣ - تسود على اللغات السامية ظاهرة الفعل لأن اشتقاقات كلماتها هي في الأصل من فعل .
- ٤ - ليس في اللغات السامية أثر لإدغام كلمة في أخرى حتى تصير الإثنان ككلمة واحدة تدل على معنى مركب من كلمتين .

^١ محمد عبد القادر محمد : مقال العلاقات العربية المصرية القديمة - المجلد الأول " مصادر تاريخ الجزيرة العربية " ص ٢٢ مطبوعات جامعة الرياض - سنة ١٣٧٩ / ١٩٧٩ م .

اللغة البني عامرية (التيجرية)

يتحدث أبناء قبيلة بني عامر الذين يسكنون في توكر وما حولها من مناطق حتى الحدود السودانية الإرترية وما وراءها وصولا إلى مصوع ودهلك باللغة البني عامرية التي تنسب إلى هذه القبيلة الكبيرة . وتمتد أراضي هذه القبيلة وأوطانها في جمهورية السودان حتى تصل إلى مدينة كسلا وضواحيها بالإضافة إلى توغنها في الأراضي الإرترية . وكل هذه الأراضي كانت تحت سلطان ملك بني عامر من البلوين الذين ينتمون إلى قبيلة بلي العربية اليمينية والذين استوطنوا هذه الجهات منذ عهد سحيقة قبل المسيحية .

واللغة البني عامرية لغة سامية وهي سهلة التعلم للناطقين باللغة العربية . وهذه اللغة أسماء كثيرة منها أنها اللغة " التيجرية " ويعتقد بأنها سميت بهذا الاسم لأنها كانت لغة التخاطب التي كان يتحدث بها تجار العرب قبل تطور اللغة العربية عند ما كانوا يهبطون سواحل إفريقيا للتجارة مع تلك المناطق وصولا من هناك إلى الأراضي السودانية تحت مملكة البجة وبقية أراضي إرتريا . ولذلك فإنه يعتقد بأن هذا اللفظ قد اشتق من كلمة تاجر ، وربما تويجر ثم حدث في اللفظ من التغيير ما حدث حتى أصبحت اللغة هي اللغة التيجرية .

والمعروف أن العرب كانوا يتنقلون بين اليمن وسواحل البحر الأحمر الجنوبية والغربية . ولم يكن اليمينيون وحدهم هم الذين يسلكون هذه الطرق فحسب ، بل كانت هناك القبائل الحجازية من مضرية أو عدنانية إلى

يمنية ، وكلها تبجر في البحر الأحمر وتعبره للوصول بتجاراتها إلى السواحل الإفريقية . وكانت من بين القبائل العربية التي تسافر بقوافلها إلى اليمن ثم ترسل تجارتها إلى السودان وإرتريا بل والحبشة أيضا قبيلة قريش . وكان هناك طريق بحري معروف يسير من ميناء شعبية قرب جدة إلى جزيرة عيري أو سواكن أو العقيق على الساحل السوداني ومنها إلى مصوع (باضع) ودهلك في الأراضي الإرترية التي كانت تتحدث بهذه اللغة البني عامرية ، ومن الأسماء التي أطلقت على هذه اللغة أيضا " الحبابية " والحباب هم إحدى قبائل هذا الإقليم ، و ينتمي زعمائها إلى قريش إذ أن جددهم هو الفضل بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .^٢ وقد نسبت هذه اللغة لهذه القبيلة أيضا بسبب كثرة أبناء هذه القبيلة التي ينتشر أبناؤها بين السودان وإرتريا ، وكانوا يعملون بشكل مستمر في دلتا توكر لزراعتها وحصاد قطنها وذرتها .

وتسمى هذه اللغة أيضا بالحاساوية وقد تبدل الحاء أحيانا خاء فيقال الحاساوية . كما ينطقها أبناء البجة ممن يتحدثون باللغة التبادوية " كاساوية " وكلها نسبة إلى قبيلة الحاسا أو الحاسا التي كانت سيدة على سواكن والأراضي الواقعة جنوبيها . وكانت هذه القبيلة التي ربما نزلت من الاحساء بالجزيرة العربية في فترة مجهولة التاريخ وربما قبل ظهور اللغة العربية بشكلها المعروف ، فاستوطنت تلك الديار مع بقية القبائل العربية الأخرى ، وكانت تتكلم بهذه اللغة البني عامرية ذات الصلة الوثيقة بالعربية .

^٢ محمد صالح ضرار : تاريخ الحباب والحماسين : ص ٧ . الدار السودانية للنشر .

ولكى نقرب إلى القارئ وإلى ذهنه هذه اللغة فإننا سنذكر هنا بعض كلماتها التي يمكن مقارنتها باللغة العربية سواء ما قرب منها أو بعد . ففي البني عامرية يقال للماء (مائي) ، وإذا أردت أن تقول " أسقني ماء " قلت " مائي استيني " . أما العدد من واحد إلى عشرة فهو : حَتِّي ، كَلُوُوت ، سَلَسْ ، أَرَبَعْتْ ، حَمِسْ ، سِسْ ، سَبْعْ ، سَمَانِيَتْ ، سَبْعْ ، عِسْرَة . ثم تقول لثلاثة عشر عِسْرَة وسلس وهكذا وهكذا ويلاحظ أنهم يقبلون الناء في ثلاثة سينا .

ويقال للبنيت (وَلْتْ) ، وللولد (حِطَّان) ، وللمرأة (إَسِيَتْ) أي سيدة ، وللكبير (عَبَّاي) وللصغير (نُووش) . فإذا أراد أحدهم أن يسأل عما إذا كنت رأيت أباك ، قال لك " أبوك رَيْك " . فإذا أردت أن تقول إنك رأيت ابنه قلت " رَيْكُو " وإذا أردت أن تقول " أعطني " قلت " هَبِّي " بتشديد النون وكسرها أي هَبِّي باللغة العربية .

وتاء المخاطب في أَيْتْ وِغْتْ وتكلمت تجد أنها في هذه اللغة دائما كاف مفتوحة فتقول مَطَّأَك ، وَسَكْبَك ، إْتَهَائِك . ولجمع المخاطب يقال مَطَّأَكُم ، وَسَكْبَكُم وإتهائِكُم . وللمؤنثة تكسر هذه الكاف في المفردة ، وهكذا فإنها تشبه الحركات التي نجدتها في اللغة العربية في مثل هذه الحالات فتقول مَطَّأَكِ وَسَكْبِكِ وإتهائِكِ (بالإمالة في الياء) .

ومن أوجه التقارب بين اللغة العربية واللغة البني عامرية ، فكلا اللغتين تستعمل تاء التأنيث الساكنة في آخر الفعل الماضي فيقال في كلمة (أْتَتْ العربية ، مَطَّأَتْ ، وفي خرجت (فَقَرَّتْ) ، وفي ذهبت (قَيْسَتْ)) بها إمالة في الياء) ، وفي نامت (سَكَبَتْ) .

وفي الخطاب بالفعل المضارع يقال فى قولك : أَنْتَ تَأْتِي (أَنْتَ تَمَطِّي) ، وَأَنْتَ تَذْهَبُ (أَنْتَ تَقْيْسُ) ، وفى أَنْتَ تَخْرُجُ (أَنْتَ تَفْقَرُ) .
أما إذا كان الفعل معتل الآخر بالياء فتقول لمن يقال له أَنْتَ تَشْرَى (أَنْتَ تَدَّابِي) ، وَأَنْتَ تَتَكَلَّمُ (أَنْتَ تَنْهَاقِي) . وفى جميع هذه الأفعال فإن الناء تنطق مكسورة فى الفعل المضارع على لغة تميم .

وتشبه اللغة البني عامرية اللغة العربية أيضا فى بعض نواحي التصريف . ففى اسم الفاعل نجد أنه يجرى دائما على وزن " فاعل " فتقول للكلمات " آت ، وخارج ، ونائم : ماطِي ، وفاقِر ، وساكِب) .

وتاء المتكلم تقلب كافا وتضم الكاف مع إشباعها قليلا للتدليل على ضمها فتقول فى الأمثلة السابقة مَطَأُكُ ، وإدَائِكُ ، وفَقْرُكُ وسَكْبُكُ أى أَيْتُ واشْتَرَيْتُ وخرَجْتُ ونَمْتُ .

وعند التحدث إلى المخاطب فإن الفعل الماضي ينتهي بالكاف المفتوحة فى اللغة التيجرية فيقال مَطَأُكَ ، وسَكْبُكَ ، وقِسْكَ بمعنى أَيْتَ ، زَنْمَتَ ، وذَهَبْتَ .

ويبدو أن بعض كلمات اللغة التيجرية كانت معروفة عند أهل مكة ، وكانوا يعتبرونها اللغة الحبشية . وقد جاء فى كتاب الطراز المنقوش أن النبي صلى الله عليه وسلم نطق ببعض الألفاظ الحبشية . وذكروا أنه عندما رجعت أم خالد من الحبشة كساها كساء فيه أعلام يعرف بالخميصة ، وجعل النبي (ص) يمسح الأعلام بيده ويقول " سناه ، سناه " أى حسن حسن . وقبائل بني عامر يستعملون كلمة من هذا الصوت هى كلمة سَنِي للمذكر أى حسن ، ويقولون للمؤنث سَنِيَتْ بالإمالة فى الياء ومعناها حَسَنَتْ . أما معنى (حسن) فى اللغات التى على الشاطئ الحبشي فإنها مغايرة لهذه

الكلمة ومشتقاتها . ففي اللغة الأمهرية نجد أن ما يقابل هذه الكلمة هو (سَوِيَو) ، وفي اللغة التيجرينا فهي كلمة (سُبُوكْ) وفي لغة الجعر التي كانت اللغة الدينية فهي الجعر . وربما أوضحت لنا هذه الكلمة وحدها مدى الصلة بين قبائل بني عامر الذين نزحوا في عصر متقدم إلى أراضي الساحل الإفريقي أي إرتريا والسودان الشرقي وبين قريش زعيمة التجارة الدولية في العصر الجاهلي ، وقد عرف ذلك التأثير اللغوي النبي صلى الله عليه وسلم .^٣

وقد جاء في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة^٤ أن الشاعر سحيمًا كانت لديه لكنة حبشية فكان إذا أنشد شعرا وأراد أن يقول " أحسنت " قال " أحسنك " .

بيد أن في بعض شواهد نحو اللغة العربية شاهدا على إبدال التاء كافا في اللغة العربية ويروون قول الراجز:

يا ابن الزبير طالما عصيكا وطالما عنيكنا إليكا
لنضربن بسيفنا قفيكا^٥

ولربما كان استبدال الكاف بتاء عند الخطاب تطورا حدث في اللغة العربية مؤخرا وربما قبيل الإسلام بقليل ، ولم ينتشر أو يتعمق إلا بعد وقت من الزمان . غير أن هذا المثال يُظهر أن مصدر اللغة البني عامرية واللغة العربية هو مصدر واحد وأنه هو السامية .

^٣ محمد بن عبد الباقي البخاري (+ ٩٩١) : الطراز المنقوش ، في محاسن الحياض نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٨٣

^٤ ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٢٤١

^٥ أورده أبو زيد أيضا في نوادره ، ونسبه إلي راجز من حمير (خزانة الأدب للبهدادى - ج ٢ ص

أما إذا أضيف الفعل الماضي لواو الجماعة مثل كلمة ناموا ، وأكلوا وذهبوا فإنه يقال باللغة البني عامرية " سكبوا ، وبلعوا ، وقيسوا " دون النطق بالألف في الآخر . وفي حالة الخطاب للمؤنث المفردة فإن هذه الكلمات تصبح " سَكْبِكِ ، وبلعِكِ ، وقِسْكِ " أى بكسر الكاف التي تقابل تاء المخاطبة في اللغة العربية مثل نَمْتُ وأكَلْتُ وذهبتِ .

وليس هناك مثنى في اللغة البني عامرية ، فهي في ذلك تشبه اللهجات العامية التي اندثر فيها المثنى واستبدل بالجمع . وهناك تاء تأنيث تلحق بالفعل الماضي فيقال " سَكَبْتُ وبلَعْتُ وقِيسْتُ " أى نامت وأكلت وذهبت . ويأتى اسم الفاعل من هذه اللغة على وزن فاعل فإذا أردت أن تقول " هو نائم " قلت هتو ساكب " وإذا أردت أن تقول " هو خارج " قلت " هتو فاقر " إلى غير ذلك .

ومن بعض مظاهر الاختلاف بين هذه اللغة والعربية وجود كلمات عديدة بالإمالة بين الفتحة والكسرة وهذا ما لا يوجد في العربية الفصحى ، ولو أنه موجود في اللهجات العامية وفي بعض قراءات القرآن الكريم . وعلاوة على ذلك فإنه يوجد في بعض حالات الضم أيضا إذ نجد هذه الإمالة بحيث ينطق الألف المضموم الممدود كحرف (o) في الإنجليزية .

وقد جمع والدي* / محمد صالح ضرار كثيرا من شعر شعراء هذه اللغة ، وظهرت في كتابه تاريخ قبائل الحباب والحماسين بالسودان وإرتريا وفي كتاب تاريخ شرق السودان - قبائل البجة - فليرجع من يريد معرفة المزيد من هذه اللغة إلى تلك المراجع التي حفظت لنا الكثير من هذا التراث . واللغة البني عامرية تسهل كتابتها بالحروف العربية ، وكثيرا ما كان يكتب بها أهل مصوع لأهلهم وذويهم سواء أكانوا في إرتريا أيام الحكم

العثماني أو المصري الخديوي أو الإيطالي ، وكانت تصل هذه الرسائل إلي ذويهم في بورتسودان وسواكن والعقيق فيقرؤونها بسهولة نظرا لأنهم درسوا القرآن الكريم في كتابتهم وخلاويهم ، فعرفوا الأحرف العربية ، وأخذوا يستعملونها في كتابة هذه اللغة السامية .

ويصعب تحديد الفترة التي انتشرت فيها هذه اللغة البني عامرية في إقليم البجة الواقع على سواحل البحر الأحمر ، ولكننا نجد أن ابن حوقل حين زار شرق السودان في القرن العاشر الميلادي (٣٥٠ هـ / ٩٥٦ م) وجد أن قبائل البجة تتحدث لغتين مختلفتين . ومن المرجح أنهما اللغة التبادوية واللغة البني عامرية وهما لغتان ما زالتا باقيتين في إقليم البجة حتى الآن ، بالإضافة إلي اللغة العربية .

أما اللغة التبادوية فقد قام بعمل دراسة مستفيضة فيها الأستاذ الحاذق محمد أدروب أوهاج ، وهو من المتحدثين بها كلغة أم بالإضافة إلي تفردته بمعرفة اللغة العربية وآدابها ومكونات تصريفاتها دون أن ينسى التبحر في اللغة الإنجليزية ، وأنا أعرف فيه كل هذا الحذق ، وأوصي القارئ بالرجوع إلي ما كتب في هذا الموضوع لعدم إمامي بخفاياه ، وكذلك حالي مع بقية اللغات واللهجات اقليمية المنتشرة في طول السودان وعرضه .

وهناك شعراء كثيرون في لغة بني عامر ، وقد أورد محمد صالح ضرار بعضها في ما كتبه في كتابه " تاريخ قبائل الحباب والحماسين - بالسودان وإرتريا " كما جاء أيضا بعض الشعر في كتابه تاريخ بشرق السودان . وسيجد القارئ أن الشعر البني عامري يلتزم بالقافية والروي وموسيقى التفعيلات والبحور . ولهذا فإننا ننبه إلي المصادر التي يمكن أن يجد فيها الباحث مقتطفات من الشعر البني عامري .